نافذة

الحب أساس الحوار

في البال فكرة.. ما زالت تلحّ عليّ منذ مدة، لماذا لا نتوجه بدعوة إلى عقد مؤتمر أو ملتقى فكري ثقافي، يجتمع فيه نخبة من كبار الشخصيات الثقافية والأدبية والفكرية، في الوطن العربي لمناقشة الواقع الثقافي العربي، في ضوء ما جرى ويجري من الأحداث وتطورات كبيرة على الساحتين العربية والدولية والظواهر والتحولات الكبرى التي نتجت عن «العولمة» و«صراع الحضارات» و«الحرب على الإرهاب» وأعتقد أننا لن نختلف إذا قلنا إن البعد الثقافي يقف بقوة، وراء كل منها، فالعولمة، هي مفهوم ثقافي من الدرجة الأولى لأنها تعنّي سقوط الحواجز بين الأمم والدول، بحيث تمتزج الثقافات، وتتزاوج الحضارات لتصبح في مجملها تعبيراً مشتركاً عن وحدة العالم، المعاصر، وذوبان الهوية فيه.

أما «صراع الحضارات»، فهو تعبير مباشر عن المواجهة المحتملة بين الثقافات المختلفة في عالم اليوم، وقد قام «صموئيل هنتنغتون» صاحب هذه النظرية بجمع مجموعة من الأفكار التي استبدلت «الخطر الشيوعي» بخطر «الإسلام السياسي» والعداء للإسلام، الذي قاد إلى نظرية «الحرب على الإرهاب» وهي في المحصلة، مواجهات ثقافية، وجوهرها «خلاف ثقافي».

إذا تأملنا قليلاً، فسنكتشف أن معظم النزاعات الإقليمية والصراعات الدولية، التي حدثت في السنوات القليلة الماضية، تستند في مجملها إلى البعد الثقافي بالدرجة الأولى، ذلك أن الخلافات بين القوميات أحياناً والدول أحياناً أخرى، إنما تستند في الأغلب إلى نزاعات عرقية، ومذهبية وطائفية ودينية، وكانت الولايات المتحدة الأميركية، وبعض الدول الكبرى في أوروبا، تجيد تحريكها وتمويلها وإشعال النار فيها، وبكل أسف، كان العامل الثقافي، قبل غيره، يطفو على السطح في معظم الحالات.

إن الذين يعرّفون الحضارة بمفهومها الأدق، يقولون إنها «منظومة أخلاقية» ونسب متجانسة من المشاعر والعواطف، وهي نسق ثقافي متميز لذلك فإن العلاقة بين الحضارات، هي علاقة ثقافية بالدرجة الأولى، وأذكر كيف استطاعت الحضارة العربية السورية، اقتحام العواصم والمدن الأوروبية والأميركية واليابانية من خلال المعارض الأثرية التي أقامتها وزارة الثقافة في الأربعين سنة الماضية.

لقد أصبح الناس في كثير من دول العالم يدركون أن سورية هي بلد المليون سنة حضارة وبلد الفنون والحضارات والإنجازات الفكرية والتحولات الكبرى في تاريخ البشرية، وأن ثقافة سورية هي رسول حضاري، إنساني للعالم أجمع.

نظرتنا للثقافة، اختلفت كثيراً، في ظروف الأزمة التي يعيشها العرب، منذ سنوات عدة، ما يتطلب من المثقفين على اختلاف مشاربهم وأفكارهم، مراجعة الكثير من مواقفهم وآرائهم ومفاهيمهم.. لقد تعارضت المواقف والمصالح والأهداف والغايات.. لقد تمزق المثقف بين اتجاهات عدّة، نذكر منها، دور المثقف في مجتمعه، وعلاقته بالسلطة، والعوامل الاقتصادية والاجتماعية، وتاريخ الكيانات التي نريد للثقافة أن تلعب دور الوسيط، والممهد لإقامة علاقات سليمة معها، أساسها الحوار وليس الصدام.. والابتعاد عن تلك العادة السيئة ألا وهي حل المشاكل بالكلام، والتحدث عن أمور هي خيال محض، وكأنها تدخل في زمرة الممكن.. ما حدث ويحدث يدعونا جميعاً إلى الاستنهاض والقيام بالفعل المحرك لكل أجزاء الجسم الاجتماعي.. يدعونا إلى الاعتراف بالاختلاف، وبإمكانية الحوار مع المختلفين، وتحقيق التواصل، وأعتقد لو أننا أحسنا عقد هذا المؤتمر أو الملتقى الفكري والثقافي... يمكننا تحقيق كل ما عجزت عنه آليات المؤتمرات السابقة.

سقراط كان أول من استخدم الحوار، كأداة للوصول إلى الحقيقة، وقد جعله بحثاً مشتركاً بينه وبين محاوريه، بمعنى أنه لم يكن يلعب دور الأستاذ صاحب السلطة المرجعية، بل دور الذي يجيد طرح الأسئلة، المعين على توليد الحقائق، من هؤلاء المتحاورين، ومعنى هذا أن الحوار عند سقراط، كان آلية لتحقيق الطرح الجذري، وإعادة النظر، ونقد المألوف المستقر من المفاهيم، كخطوة لإعادة بنائها، وعلى الرغم من أن سقراط كثيراً ما كان يلجأ إلى التهكم، إلا أن العلاقة الأساسية التي كانت تربط بينه، وبين محاوريه في الحوار، هي علاقة الحب، فالحب هو الوسيط الجدلي الوحيد بين الأطراف.

د. علي القيم

اليوم العالمي للغة العربية... هل تحقق الاحتفالية احتفاء لائقاً باللغة؟!

تكريم اللغة في يومها بحضور لغوي فقط!!

مروان المحاسني: وصل الإغريق إلى أوروبا بالعربية
محمود السيد: الخصوبة تدعم التوسع العربي في الإعلام الرقمي
موفق دعبول: مانزال عاجزين عن اللحاق بركب العالم المعاصر

عامر فؤاد عامر

أن يكون هناك يوم للاحتفال بعالميّة اللغة العربيّة، هو دليل ومؤشر للبحث في مفهوم هذه العالميّة المقصودة، والذي يأخذنا في رحلة مهمّة من الخطوات نحو الماضي الذي عاشته هذه اللغة الجليلة، والقدم الذي حققته عبر قرون كثيرة؛ جعلت منها وسيلة ترك من خلالها أبناؤها الكثير من العلامات المميزة في تاريخ البشريّة.

اليوم العالمي للغة العربيّة حددته الأمم المتحدة في عصرنا الحديث بتاريخ ١٨ كانون الأول من كل عام اعترافاً منها بقوة وأهمية ومميزات هذه اللغة غير المتوافرة في لغات أخرى كثيرة، ومن النقاط التي أثيرت في احتفاليّة اللغة العربيّة التي أقامها مجمع اللغة العربيّة في دمشق وجود العربية بقوّة في بلاد الشام من خلال قبائل عربية مستقرة في باديتها وفي بعض قراها مثل طيء في حوران، وتميم وبكر وربيعة في المنطقة الفراتية.

كما أنهم وجدوا ثقافة آراميّة عريقة أنتجت مؤلفات علميةً عديدة معظمها باللهجة السريانية تُرجِم أكثرها عن اللغة الإغريقيّة. فأفادوا من الفكر الفلسفي اليوناني في كتب أفلاطون وأرسطو، ونقلوها من السريانيّة إلى العربيّة للتعمّق في فهمها، وتلك النقاط هي ما أشار إليها الدكتور «مروان المحاسني» في افتتاحيته لهذه الاحتفاليّة وأضاف أيضاً: «... ومن بلاد الشام انتشرت ثقافةٌ عربية إسلامية على رقعة واسعة غمرتها روحانيات هذا الدين الجديد، المحمولِ على لغة متكاملة النظام غمرت فارسَ وخراسان وبخارى وخوزستان وصولاً إلى السند، وهي لغة انتشرت عن طريق المنابر أكثر مما انتشرت عن طريق السيوف، فَغَدت لغةَ تلك الأقوام في صلواتهم، وأنشأت علاقات وارتباطات مجتمعية بين أفرادهم مؤكدة قيمة إنسانيتهم..».

وقد أضاف الدكتور المحاسني مجموعة من الأفكار التي تشير للإنجازات العالميّة المؤثرة في العالم والتي قدّمها العرب بلغتهم وما زالت علامة في تاريخ العلم الإنساني فيقول: «كانت أوروبا ناشئة تحت حكم شارلمان، وهو زعيم إحدى القبائل الجرمانية (الفرنجة) نَصّب نفسه إمبراطوراً على أوروبا الغربية، وقد عرفوا وجودَ حضارة براّقة في المشرق عندما أرسل هارون الرشيد لشارلمان تلك الساعة المائية التي أدهشتهم بدقتها وحسن صنعها، وهي مماثلةٌ للساعة التي كانت تحدّد أوقات الصلوات في مدخل المسجد الأموي بدمشق. فقد عرفوا وجودَ عالمية مشرقية تكتنف الأرض من ضفاف الأطلسي إلى قلب آسيا حتى الصين، تسودها لغةٌ واحدة وينتظم حكمُها تحت نواظمَ أتى بها كتاب سماوي. وعادت أوروبا إلى الانبهار في القرن العاشر الميلادي حين وصلت إليها فلسفةُ الإغريق مكتوبةً باللغة العربية: كُتُبُ أفلاطون وأرسطو. فقد أعجبوا بشروح ابن رشد لأرسطو وأطلقوا عليه اسم الشارح، لأنهم وجدوا في هذه الشروح نظرةً إلى الفلسفة أوضح مما كان يكتبه المدْرسيّون الذين غيّبوا في شروحهم قيمةَ العقل البشري هادياً لبني الإنسان وأدخلوهم في غَيْبيّات لا سبيل إلى فهمها.... لقد أصبحت علوم العرب بعد القرن العاشر عالميةً يقرأها رجال العلم في أوروبا، كما تُناقشها الحلقات العلمية في الجامعات التي أُسست في ذلك العهد.

وقد شارك العرب في إنشاء تلك الجامعات كجامعة مونبيليه في فرنسا، وهذا ما نعتبره موقعاً علمياً عالمياً... فقد دُرِّست كتب ابن سينا الذي أضاف شرحين على كتب جالينوس ناقداً ما رآه فيها من أمور تتناقض مع ما وجده بنفسه حين تشريح جسم الإنسان، وذلك إضافة إلى خبرة أخذها في ممارسته الطبية فيما يتعلق بتشخيص الأمراض ومعالجتها.

في محاضرة للدكتور «محمود السيد» بعنوان «عالميّة اللغة العربيّة» استعرض مجموعة من النقاط كانت حول معايير عالميّة اللغة، وعدد المتكلمين بها، وعن أشهر الإحصائيات في ذلك، وقائمة باللغات العشر الأكثر انتشاراً من حيث عد المتكلمين فجاءت العربيّة في المرتبة الرابعة بعد الإنكليزيّة والصينيّة والهنديّة، ونسبة المتكلمين بها هي: ٦,٦٪.

وفي جانب آخر أوضح «محمود السيد» شيئاً من معايير عالمية اللغة من حيث عدد المتكلمين بها فبيّن أنها في المرتبة الرابعة من حيث معيار عدد الناطقين الأصليين، وفي المرتبة الخامسة من حيث معيار عدد الناطقين الثانويين، وفي المرتبة الثالثة من حيث معيار عدد البلدان التي تعتمد اللغة لغة رسمية، وفي المرتبة الثانية عشرة من حيث معيار المحتوى على الشابكة (الإنترنت)، وفي المرتبة السادسة من حيث معيار اعتمادها لغة رسمية في الأمم المتحدة.

وفي باب عراقة اللغة العربية ذكر أيضاً فترات ثلاث هي الفترة الأولى منذ أربعين قرناً (هجرة الأكاديين والآشوريين والبابليين... الخ من موطنها الأول، ونقلت معها لغتها) والثانية إبان الفتح الإسلامي في العهد الأموي: تعريب الدواوين في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان. والثالثة الترجمة في العصر العباسي ولاسيما في عهد الخليفة المأمون وإنجازاته فيها.

ومن النقاط التي تحدّث بها الدكتور «محمود السيد»: الاهتمام العالمي بالمحتوى الرقمي العربي، وذلك في المنظمات الدوليّة التابعة للأمم المتحدة، وفي عدد من الدول: كأميركا، وبريطانيا، وفرنسا، وسويسرا، والاتحاد الأوروبي، والصين، وروسيا، والهند، وماليزيا، والكيان الإسرائيلي. وأيضاً في شركة جوجل وزيادة نسبة المحتوى الرقمي العربي على الشابكة...

في صمود اللغة العربية عبر العصور أمام التحديات أشار الدكتور «السيد»: إلى فترات الحروب والاحتلالات في فترة المغول والتتر وحروب الفرنجة والاستعمار الغربي ومحاولات استبعاد العربيّة بما في ذلك التتريك والفرنسة وغيرها. وقد استشهد في عدد من الأمثلة صمود العربيّة بسبب مضمونها الحضاري وصون القرآن الكريم لها، وإشارة للكاتب الإسباني (كاميلو خوسيه سيلا) الحائز جائزة نوبل عام ١٩٨٩ الذي رأى أن اللغات القادرة على الصمود في وجه تغيرات العصر أربع هي: الإنجليزية- الإسبانية- العربية- الصينية. والكاتب الفرنسي الرحالة جول فيرن وما أشاد به حول العربيّة. وفي جانب من المحاضرة بيّن الدكتور السيد مميزات اللغة العربية بين لغات العالم فشرح عن أصواتها وحروفها وسعة مفرداتها ودقة تعابيرها، وصفة الإيجاز، والتميز في إعرابها، وفي الاشتقاقات الخاصة بها فهي لغة ولادة ومواكبة لروح العصر. وفي نهاية محاضرته استعرض آراء لعدد من العلماء الغرب حول مكانة العربيّة وقوتها وتميزها بين لغات العالم منهم العالم الفرنسي آرنست رينان، والعالمة الألمانية «زغريد هونكة» والعالم الأميركي «ريتشارد كوتهيل» وغيرهم من الأسماء المعروفة عالمياً.

وفي الجزء الأخير من الاحتفاليّة كانت محاضرة للدكتور «موفق دعبول» بعنوان اللغة العربيّة والعلوم. وقد تحدّث عن الفترة الزمنيّة التي تبدأ منذ محمد علي باشا إلى يومنا الحالي وطرح مجموعة من الأسئلة حول: مقدرة العربيّة في التجاوب مع التطورات العلميّة السريعة واستيعابها للمصطلحات الغزيرة التي تولد يومياً، وهل اللغة العربية صالحة للتدريس عموماً وللجامعي خصوصاً؟ وهل اللغة العربية قادرة على أن تفرض نفسها لغة عالمية؟ وهل نبقي الحروف العربية على ما هي عليه، أم نسلك سبيل تركيا ونستعمل الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية؟ وهل ما نعانيه من تخلفنا المرتبط بهذا الموضوع هو علة في اللغة أم هو علة في أبناء الأمة العربية؟ وغيرها من النقاط المهمة جداً.

حركة نقل العلوم عند العرب

حظي العلماء والمترجمون حظوة مميزة لدى المأمون، ومما يروى في هذا الصدد، أن المأمون كان يتجول مع ثابت بن قرة في حدائق قصره... وكانا يتبادلان الحديث حول مسائل علمية. كان المأمون يضع يده على كتف ثابت.. وفجأة رفع يده، ما جعل قلب ثابت يتطاير خوفًا من أنه تجاوز الحدود في حواره مع المأمون. فسأل المأمون يستفسر عن سبب رفع يده، فأجابه المأمون معتذرًا وقائلًا: أنه لا يجوز أن يعلو على العلم أي شيء. فالعلم يعلو ولا يعلى عليه. من الطريف أن المأمون كان يعطي المترجم مقداراً من الذهب، زنة ما ينقله من الكتب إلى اللغة العربية. ولعل ذلك كان السبب في أن بعض هذه الترجمات كانت تكتب بحروف كبيرة وبخط غليظ، وفي أسطر متفرقة ومما يذكر أن الخوارزمي وضع في بيت الحكمة كتابه في علم الجبر والمقابلة، كما قاس أبناء شاكر للمأمون محيط الأرض، وذلك عن طريق قياس دائرة نصف النهار في صحراء سنجار، وكان تقديرهم لهذا المحيط قريباً من طوله الحقيقي. وقد بذلت عناية خاصة في علم النجوم وأدوات مراقبة حركتها ومواقعها في السماء. كل ذلك، إضافة إلى تأليف كتب كثيرة في النجوم، ومقالات في تركيب العطور، ورسائل في الأطعمة والأترية وغيرها. ولعل مما يستحق الذكر هو الدعم الذي قدمه المجتمع المدني الأهلي لعملية التعليم والبحث العلمي. لم تكن الدولة تنفق من مالها شيئاً على هذه العملية، ولا تخصص أي باب في ميزانيتها باستثناء ما يمنحه الخلفاء والأمراء والأغنياء. وفي مقابل ذلك لم تتدخل الدولة في وضع منهج أو مراقبة لعلم أو عالِم، إلا أن يُتّهم بالزندقة.

الترجمة في العصر الحديث

وقد ذكر د.حسام الخطيب في أحد مؤلفاته عام ١٩٨٩ وجود ٣٠٠٠ كلمة عربية في أحد معاجم اللغة الإنكليزية وجاء في كتاب «شمس العرب تسطع على الغرب» للمؤلفة المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة وجود أكثر من ٢٥٠ كلمة عربية دخلت اللغة الألمانية وأما في اللغة الإسبانية ففيها ما يقرب من ١٧٪ من مفرداتها هي مفردات عربية. وكذلك فإن الكثير من المفردات العربية دخلت الفرنسية والإيطالية والبرتغالية. عدد المفردات العربية تبلغ نصف محتويات القاموس الأندنوسي، كما تبلغ في بعض الكتب الفارسية ما يتجاوز خمسين بالمئة. يضاف إلى ذلك دخول الكلمات العربية للغات الشرقية الأخرى كاللغة التركية مثلا.

وفي ميدان آخر ذكر الدكتور «موفق دعبول» عن ميدان التأليف والإبداع، وعن علماء العرب في الفلك والرياضيات والطب الذين ما زالت إبداعاتهم مؤثرة في لغات العالم كالخوارزمي والبتاني والبيروني والإدريسي، وابن الهيثم وابن سينا وابن رشد وابن زهر والمزيد من الأسماء التي لا تُمحى من الذاكرة الإنسانية.

أين نحن الآن من شأن اللغة العربية مع العلوم؟

كان هذا العنوان هو السؤال الذي اختتم به الدكتور «موفق دعبول» محاضرته فقال: «قيل الكثير عن هذا الموضوع، وما زال الجدل مستمراً، فهناك من يرى ضرورة استعمال العربية أداة للتعليم في جميع مراحله وأداة للبحث العلمي في مختلف مستوياته، ويرى في ذلك ضرورة قومية، يفرضها صدق انتمائنا إلى أمتنا العربية وتاريخها المجيد، وفي المقابل هناك من يرى أننا في هذه المرحلة سنبقى عاجزين عن اللحاق بركب العالم المعاصر إذا ما ألححنا على التمسك باللغة العربية... في قناعتي أننا في حالنا هذا لا نعدو تلك الحالة التي أتى على ذكرها ابن خلدون في مقدمته، وهي أن الأمة المغلوبة تحاول تقليد الأمة الغالبة في حل أمورها معتقدةً أن ذلك سبيلها في النجاح.. ولعل ابن حزم أشار إلى هذه الظاهرة عام ٤٥٦ هـ بقوله: إن اللغة يسقط أكثرها بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم، وإنما يُبقي لغة الأم وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها. وأما من تلفت دولتهم وغَلب عليهم عدوهم فمضمون منهم موت الخواطر، وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم، وهذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة».

المالح ظريف دمشقي رائحة الشواء تحرك معدته!

أنس تللو

رجل مفرط في الأناقة؛ دمثٌ في الكلام، حاضرُ النكتة، سريع البديهة، متوقد الذهن، حباه الله فوق ظرافته موهبة الصوت الجميل، ما جعل منه أمير المجتمعات لصوته وظرفه.

كان عبد الحميد قصيراً جداً، وكان محدودب الظهر حتى يكاد ينطوي على نفسه... يسير حاملاً عصا يتوكأ عليها، وقد أمضى حياته من دون عمل.

كان عبد الحميد جاراً لحسني تللو وصديقاً له، ولو قارنّا بينهما حسب المقاييس الرياضية لوجدنا أن عبد الحميد كان بوزن الريشة بالنسبة لحسني، ذلك أن حسني قد تخطى كل الأوزان الثقيلة، في حين أن عبد الحميد كان غاية في النحولة...

كثيراً ما كانت رائحة شواء اللحم المنبعثة من بيت تللو تجذب عبد الحميد، فيطرق الحائط ليذكر حسني تللو بلهجة مؤدبة بحاجته للحم، فيرد عليه ذاك بلهجة ساخرة...

فيقول: (شو بدك يا عبد الحميد).

فيجيبه: بدي كم سيخ لحمة، لأن الرائحة حركت معدتي وشوقتني.

فيقول حسني تللو: (ألا تكفيك الصحة التي على بدنك، وكلها من خير الله وخيرنا، وجايي بدك تاكل لحمة... أكلك زهرمان يا طماع، يا أبو عين جوعانة، روح غمّس رغيفك على حيط مطبخنا...).

وهنا يبدأ عبد الحميد بالزعيق والشتائم فيقول: والله لورجيك يا عكر يا عونطجي...

وتتواصل المَلاسنة بينهما، والمستمعون من البيتين غارقون في الضحك.

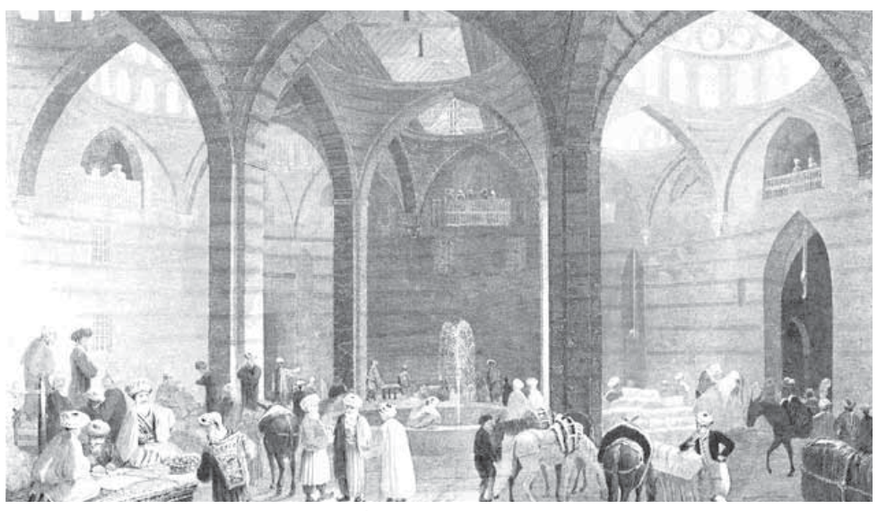

دمشق كما رآها التشكيليون والتي ألهمت الظرفاء

حسني تللو في البحرة

في إحدى ليالي الشتاء القارصة كان عبد الحميد قادماً إلى المنزل، وكان أولاد الحارة ينتظرونه أمام مدخل الحارة ليسمعوا منه بعض الطرف الضاحكة، إذ ينقل إليهم قطفاً من مجالس الأنس والسمر والطرب، وكان من بين الأولاد عدنان تللو ابن حسني، فلما انتهى عبد الحميد مما يرويه دخل عدنان إلى البيت فوجد أباه حسني جلس في البحرة الصغيرة في (دهليز البيت) والماء البارد يغمره حتى الكتفين، فأسرع إلى عبد الحميد يناديه ليطلعه على هذه المفارقة العجيبة، وما إن دخل عبد الحميد ورأى حسني تللو على هذه الحال حتى أحس بالغيظ الشديد وغلبه الحنق، فرفع عصاه وصاح في وجه حسني تللو: شايف (الهبّال) طالع من جسمك من كثرة الطعام والدسم... وأخذ ينهال بالعصا على جسد حسني تللو وهو في البحرة، وحسني يصيح مستنجداً بابنه عدنان لينقذه من هذه اللسعات، لكن عدنان كان غارقاً في الضحك لهذا المنظر؛ فلم يستطع أن يدفع البلاء عن أبيه.

في مجلس سعدو آغا

سعدو آغا هو جد الرحالة العربي عدنان تللو وهو والد أحد ظرفاء دمشق حسني تللو... كان له مجلس أسبوعي في الدار العامرة يحضره وجهاء الحي وبعض من الأهل والأقارب والجيران، كان عبد الحميد من بين الحضور نظراً لعشقه للعزائم والولائم وما يسمى (السلتات)، أي أن (يدحش) المرء نفسه في مجلس ما نظراً لمعرفته أن هذا المجلس سيعقبه طعام، وكانوا يقولون إن هذا المجلس فيه (فتح تم) أي فيه طعام ما.

مجالس أنس وطرب وحكايات طريفة مع طريف الشام حسني تللو

وقد كان الآغوات آنذاك يتحدثون في مجالسهم عن أنفسهم، ويتباهون بكرمهم الكبير، ولا تخلو مثل تلك الأحاديث من مبالغات عديدة، ولاسيما إذا كان الحديث عن الولائم، إذ يفاخرون بألوان الطعام والحلويات التي يقدمونها، ويطنبون في وصف كرمهم وشدة ترحيبهم... وكان حسني تللو ابن سعدو قد اتفق مع عبد الحميد المالح أنهما كلما سمعا شيئاً من تلك المبالغات يقوم أحدهما بهز رأسه إلى الأمام والخلف إشارة منه إلى أنه قد اكتشف زيف كلام الآغا وأدرك بطلانه، فيقوم الآخر بهز رأسه كذلك ليؤكد أنه موافق على أن الكلام نصفه كذب، وكانا من أجل أن يتم لهما ذلك يتعمدان الجلوس متقابلين بعيداً عن بعضهما.

ومرة أحس الآغا سعدو بهزات الرأس تلك؛ فسأل عبد الحميد بعد انقضاء المجلس بلطف شديد عن المقصود بهذه الهزات، فأجابه عبد الحميد:

ـ يا سيدي إن كلام الناس في هذه الأيام قد كثر فيه التدجيل والكذب، وإننا اتفقنا على تلك الهزات لنشير إلى أننا اكتشفنا تلك الأكاذيب.

فضحك الآغا آنذاك، وقال: بسيطة الأمر ليس له أهمية.

لقد أدرك عبد الحميد أن غضب الآغا سوف ينصب على ابنه حسني، وأنه لن يناله من ذلك شيء ما دام ابن الآغا مشاركاً في هذه الجريمة النكراء... ومن ثم فقد أعجبه أن الآغا لم يعر الأمر أهمية، فمرت الأمور بسلام.

وبعد عدة جلسات تصادف أن عبد الحميد قد وصل إلى المجلس متأخراً، واضطر لأن يجلس في مكان قريب جداً من الآغا...

بدأ الآغا يمجد نفسه ويتحدث عن مآثره بشيء من المبالغة حتى يُشبع رغبته في الوصول إلى نظرات الإعجاب وعبارات التبجيل... فبدأ ابنه حسني يتحين فرصة ابتعاد نظرات أبيه الآغا عنه لكي يقوم بهز رأسه إلى الأمام والخلف، إشارة منه إلى عبد الحميد المالح ليشاركه في ذلك... لكن عبد الحميد كان في حالة رعب شديد، لأنه كان جالساً بجانب الآغا، ولأنه كان قد أخبر الآغا سابقاً عن دلالة تلك الهزات.

تعجب حسني تللو من عدم رد عبد الحميد عليه، وكان كلما أشاح الآغا بوجهه عنه هز حسني رأسه ناظراً إلى عبد الحميد ليدعوه إلى الهز، لكن عبد الحميد كان يتغابى ويتظاهر بأنه لا يراه ويبقى مسمِّراً من فرط الخوف الشديد، إلى أن وقعت عينا الآغا على ابنه حسني فرآه يهز برأسه... فماذا فعل الآغا... التفت الآغا إلى عبد الحميد المالح وصفعه على رقبته صفعة قوية جداً أطاحت به أرضاً وهو يصرخ به: قوم رد على هالمغضوب وقل له إن كلامي كله هرف وكذب وتدجيل ونفاق... الله يلعنكم ويلعن هالجيل كله، اغربا عن وجهي... قبحكما الله.

وهكذا فقد دفع عبد الحميد ثمن إفشائه السر المتبادل بينه وبين صديقه حسني.

وقد كان عدنان تللو الحفيد آنذاك لا يتجاوز الخامسة عشرة من العمر، (في الثلاثينيات من القرن الماضي) يتابع بشغف ما يجري في مجلس جده وهو غارق في الضحك حتى أذنيه، لكنه تمكن رحمه الله من أن يروي لي هذه الطرفة بشكل متقن وتمثيل بارع.